خيال المآتة ..!!

بقلم :أحمد طلعت

ديمقراطية الانظمة الشمولية مثل خيال المآتة تماما، تحسبها الطيور (البريئة) انسانا يهش عليها بعصاه، وهى فى الحقيقة مجرد قطعة من البوص ملفوفة بقطعة مهلهلة من الخرق. فالدساتير - فى الانظمة الشمولية - كتاب مطبوع طباعة فاخرة يتضمن شعارات خلابة، لكنه يضم بين صفحاته كل ما يكرس سلطة الحاكم (ويقلص) حرية المحكوم في ظل شعار ينادى بأن الحرية ليست هى الفوضى (!!) والبرلمانات - فى الانظمة الشمولية - هى ايضا خيال مآتة، فيها منصة، وفيها ميكروفونات، وفيها محاضر جلسات، لكن دورها الاساسى هو ترشيح اسم من يرأس الدولة (بالاستفتاء) بعد ان يرشح رئيس الدولة اسماء الفائزين بعضوية البرلمان (بالانتخاب) ..! اما الرقابة على اعمال السلطة التنفيذية، فلا شأن للبرلمان بها فى ظل شعار آخر هو شعار الالتزام الحزبى، فمادامت اغلبية اعضاء البرلمان تنتمى إلى (الحزب) الذى تنتمى اليه الحكومة، فلا بأس من ان اكون انا واخى على ابن عمى، وانا وابن عمى على الغريب..!!

والاعلام هو الآخر - فى الانظمة الشمولية - خيال مآتة، فتنطلق موجاته المسموعة والمرئية فى ممارسة ملحة لعمليات غسيل المخ بغير انقطاع، حتى بعد ان ينام الناس، او يديروا مؤشرات الراديو والتليفزيون إلى صوت او صورة قادمة من بعيد..!! (والعصبة) المطبقة على قمة السلطة - فى الانظمة الشمولية - هى الاخرى خيال مآتة، وبالمناسبة فكلمة «عصبة» ليس فيها قذف ولا ازدراء فقد وردت في القرآن الكريم بمعنى جماعة (إيأكله الذئب ونحن عصبة) وكفانا الله شر تعديلات قانون العقوبات (!!) فالعصبة المحيطة بقمة السلطة - فى الانظمة الشمولية - تقطع الطريق بين الحاكم والمحكوم، وتسد المنافذ فى وجه كل رأى نافع وكل مطلب مشروع فى ظل شعارات الامن والامان، وحماية الحاكم من كيد الحاقدين..!!

ونحمد الله على اننا قد انسلخنا عن الانظمة الشمولية منذ اخذنا بنظام التعددية الحزبية فى عام ١٩٧٥، ووضعنا اقدامنا على اول طريق الديمقراطية، لولا ان اقدامنا قد (تسمرت) بعد الخطوة الاولى بحجة ان الاولوية ليست للخطوة الثانية على طريق الديمقراطية، لكن الاولوية للاستقرار ولتجاوز الازمة الاقتصادية وحل مشكلة البطالة.. ثم يأتى بعد ذلك الحديث عن الديمقراطية وعن الحريات (!!) وجرى الحوار حول الاولويات بنفس الطريقة (العقيمة) التى جرى بها الحديث فى الازمنة السحيقة حول البيضة والكتكوت، وأى منهما قد جاء قبل الآخر، فالبعض يقول بأن الديمقراطية هى ضمان الاستقرار ومناخ التنمية، وقلة تقول بأن الاستقرار والتنمية هى المدخل إلى الممارسة الديمقراطية الصحيحة، واستمر الحوار - من وقتها - لمدة عشرين عاما، لم توافق السلطة خلالها على خطوة ثانية إلى الامام، ولم (يقبل) الشعب اثناءها بخطوة إلى الوراء..!! وظلت الاقدام - مكانها - على اول الطريق..!!

ويلح بعض (العقلاء) على النظام لكى يقدم على تجربة محسوبة، فيعلن عن تشكيل حكومة ائتلافية تشرف على اجراء الانتخابات القادمة، وتنتهى مهمتها باعلان نتائج الانتخاب، وهذه التجربة لن تطول لاكثر من شهور معدودة، يمكن الحكم - بعدها - على مدى نجاحها او فشلها، وهذه الشهور - لقلتها - لا يمكن ان تؤثر على الاستقرار او على التنمية، او هى على الاقل اذا لم تنجح فلن تضر، ويقول هؤلاء (العقلاء) انهم لا يمانعون فى ان يتولى الدكتور عاطف صدقى رئاسة هذه الوزارة الائتلافية، ان لم يكن فى مصر من يصلح - غيره - لرئاسة الوزارات، ولا هم يمانعون فى بقاء السيد/ صفوت الشريف وزيرا للاعلام فى الوزارة الائتلافية، اذا لم يكن في مصر من يتمتع بقدرته الفائقة على (تلخيص) ما يدور فى الاجتماعات، بل هم - العقلاء - لا يمانعون فى احتفاظ المهندس سليمان متولي بمنصبه الحالى فى الوزارة الائتلافية، اذا لم يكن فى مصر من يحاريه فى المحافظة على سلامة (المزلقانات) لكنه - إلى جانب هؤلاء - يجب ان يشترك فى الوزارة الائتلافية اصحاب الفكر الجديد، والرأى السديد، حتى تجرى داخل مجلس الوزراء مناقشات جادة، ودراسات جادة، ومنافسة جادة بين الوزراء هدفها حل المشاكل الحقيقية للجماهير!!.

فالديمقراطية والاستقرار خطان متوازيان يجب ان يسيرا جنبا لجنب، فلم يحدث فى العالم كله ان نجحت التنمية بغير ديمقراطية، او حققت الديمقراطية غاياتها بغير تنمية، فلماذا الاصرار - عندنا وحدنا - على استمرار النقاش حول البيضة والكتكوت فنظل في مكاننا ويسبقنا الآخرون..؟؟

بقى شىء واحد اردت ان اقوله لك - عزيزى القارىء - هو اننى عرضت هذا المقال قبل نشره على صديق اعتز برأيه واثق فى سلامة تقديره، فنظر إلى وسألنى: لمن تكتب..؟ فسكت لحظة وقلت له: اكتب للناس، فأجابنى بسؤال يقول وماذا يقدر الناس ان يفعلوا..؟؟ فما رأيك انت.. عزيز القارىء ايهما اسبق إلى الوجود.. البيضة ام الكتكوت..؟؟

□ الوفد □
٥ اغسطس ١٩٩٥م ●

مشاغل السفهاء

وفى كلمات قصيرة معبرة أرسل أحمد طلعت المحامى برقية قال فيها:
«الأخ الاستاذ جمال بدوى.. ان الكرام مشاغل السفهاء.. نحمد الله على سلامتكم».

□ الوفد □
٦ أغسطس ١٩٩٥م

● وقال احمد طلعت: ارى انه لا مجال للبحث عن مسئولية الحكومة فى هذا العدوان على جمال بدوى فهذا الحادث له معنى واحد اما ان تكون الحكومة فاشلة أو حكومة متآمرة.
وأضاف اننى اقول لرئيس الحكومة ان كنت تدرى فهذه مصيبة وان كنت لا تدرى فالمصيبة اعظم.

● احمد طلعت المحامى وعضو الوفد .. يقدم اصدق العزاء الى معالى الاستاذ فؤاد سراج الدين رئيس الوفد والاسرة الكريمة فى وفاة المرحومة زكية هانم سراج الدين . رحم الله الفقيدة الكريمة وجعلها آخر الاحزان .